

محتملة لمشكلة الشرق الاوسط؟ ان كانت هذه الاعمال تعد انتصاراً للانظمة العربية المشاركة في الحرب ضد العراق، فهل تشاطر الجماهير العربية هذه الانظمة فرحة النصر؟ انها لمفارقة هذه التي نتجت عن الصرب؛ انتصار عسكري تعلن عنه الانظمة، وحسرة ومرارة ونقمة تعبر عنها الجماهير العربية. وان كان انتصار الانظمة لا ترضى عنه الجماهير ولا تشعر بأنه يصب في مصلحتها، فلمصلحة من سيجبر هذا الانتصار؟

وانها لمعادلة معقدة حقاً. فالجماهير العربية لا تخفي عداها للكيان الصهيوني وللولايات المتحدة الاميركية، وبعض الانظمة العربية يتعاون مع الولايات المتحدة الاميركية، ويسعى الى كسب ود اسرائيل. كما انه لأمر خطير عندما تتفق الانظمة العربية المشاركة في الحرب ضد العراق مع الولايات المتحدة الاميركية والغرب واسرائيل، لأن الاتفاق لا يكون من فراغ وعلى سراب، ولكنه اتفاق على مصالح واهداف - فعلى اي شيء اتفقوا يا ترى؟ كما ان حدوث الاتفاق فيما بينها يعني زوال حالة الصراع المفترض انها كانت موجودة بينها، وخصوصاً بين اسرائيل والانظمة العربية. والسؤال هو هل ان زوال حالة العدا، والانتقال الى مرحلة التعاون المشترك، يعني زوال الاسباب المؤلدة للعداء، وهي كما هو معروف اسباب متعلقة بحقوق الشعب الفلسطيني وبالصراع العربي - الاسرائيلي بشكل عام؟

ان مجريات الاحداث في الخليج والشرق العربي عموماً، والترتيبات التي تُعد لدول المنطقة ولشعوبها، تؤكد ان «حرب الخليج» كانت مجرد بداية لمخطط أخطر من الحرب ذاتها. مخطط يرمي الى اقامة نظام عربي اقليمي جديد، يشكّل، في حالة نجاحه، نهاية للقومية العربية وللنضال القومي الحدودي؛ ويمقتضاه سيوضع حد للصراع العربي - الصهيوني، من خلال تسوية الصراع الاسرائيلي - العربي، على حساب الصراع الاسرائيلي - الفلسطيني، اي ضرب فكرة قومية القضية الفلسطينية. وفي ظل هذا النظام الاقليمي الجديد، سيصبح مركز اتخاذ القرارات، المتعلقة بحاضر ومستقبل المنطقة، ليس في أيدي شعوبها، ولا حتى في أيدي انظمتها، ولكنه سيعتزم في أيدي واشنطن ودول المنطقة غير العربية، وخصوصاً تركيا وايران واسرائيل. والأخطر من كل هذا ان التواجد العسكري الاميركي الذي بدأ، رسمياً وعلنياً، يتحوّل الى وجود ثابت، من خلال قواعد عسكرية في بعض دول المنطقة. اي انه، في الوقت الذي تتحرك الجماهير في اكثر من موقع، في العالم، لوضع حد للقواعد الاجنبية، يحتضن العالم العربي ما لفظته الشعوب الاخرى. ويمكن لمن يستقرىء الاحداث والتصريحات حول المنطقة ان يتلمّس جذور هذا المخطط، ليس في احتلال العراق للكويت - والذي كان في مفهوم الحرب ضربة استباقية لحرب كان العراق يعرف انها مقبلة - ولكن منذ ان خرج العراق منتصراً من حربه مع ايران، حائزاً قوة جبارة تؤهله للعب دور خارج اطار حدوده المعترف بها.

ان قراءة قومية استراتيجية لـ «حرب الخليج»، بعيدة من حسابات الانظمة من جانب، ومتحررة من شطحات العاطفة والانفعال الجماهيري من جانب آخر، تضعنا ازاء المعطيات والمؤشرات التالية للنظام الاقليمي العربي المقبل:

أولاً: التزام دول التحالف، وفي مقدمها الولايات المتحدة الاميركية، بالحفاظ على الوضع القائم في الخليج، وفي الشرق الاوسط، من خلال الحؤول دون اية قوة محلية عربية والاخلاق بالحدود الاقليمية القائمة بين دول المنطقة، او بانظمة الحكم الخليجية. فقد سبق للدول الغربية ان شجعت العراق ليقوم بمهمة التصدي لايران في عهد الخميني، عندما حاولت هذه الاخيرة الاخلال بالوضع القائم؛ واليوم تدور الدائرة ويضرب العراق من قبل الولايات المتحدة الاميركية والدول الغربية وانظمة